الجمهورية العراقية
رئاسة ديوان الأوقاف
إحياء التراث الإسلامي

شفاء الغليل

في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل

للشيخ الامام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي
محمد بن محمد بن محمد الطوسي
(٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ)

تحقيق

الدكتور حمد الكبيسي

ينشر لأول مرة عن أربع نسخ مخطوطة .

مطبعة الارشاد ـ بغداد
١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م

هذا الكتاب هو القسم الثاني من رسالة جامعية ، قدمت للحصول على درجة « الدكتوراه » في الشريعة الاسلامية ، من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر • وقد نوقشت في ١٩٦٩/٦/٨ ، فنالت مرتبة الشـــرف الأولى ، مع التبادل •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه اجمعين • اما بعد : فان المأمول ان يكون لرئاسة ديوان الاوقاف آفاق رحبة ، ومنطلقات فسيحة في مجالات الخدمة والبناء • حيث لا يقصُر خطوها عن المساهمة في كافة السبل التي تؤدى الى تدعيم الحضارة الاسلامية ، وتتصل باسباب قوتها وخلودها •

ومن المسلم به ان العلم والمعرفة من اقوى الدعائم التي يقوم عليها البناء المتحضر لايّ امة من الأمم • ومن المسلم به ايضا ان في محيطات تراثنا الخالد دررا تنشد الغواص البارع ، وكنوزا تناشد ذا الخبرة والمراس •

وهكذا وجد المسؤولون في هـذا الديوان انفسهم أمام مسؤولياتهم الحضارية في حتمية اخراج هـذه الكنوز الى ظاهر الارض ، ومسح غبار السنين الطويلـة عنها من اجل ان يجد فيها المتعطشون الى رحيق العلم منهلا عذبا •

وقد وجدت هذه الخطوة المباركة طريقها الى امهات الكتب المخطوطة التي لم يقدر لها ان ترى النور حتى الآن •

فوقع الاختيار على كتاب « شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل » للامام أبى حامد الغزالي رحمه الله • وهو كتاب له مكانة بين كتب علم اصول الفقه ، وله مكانته عند المتخصصين في هذا العلم • وقد يسر الله له حالة من التحقيق جيدة على يد الدكتور حمد الكبيسي عميد كلية الامام الاعظم ، ومدرس الشريعة الاسلامية في كلية القانون والسياسة بالجامعة المستنصرية • فجمع نسخه المخطوطة المتفرقة في مكتبات العالم وقارن بينها شارحا وموضحا • مع دراسة عن النص قيمة استحق بها درجة

الدكتوراه من جامعة الازهر بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الاولى وتبادل الرسالة مع الجامعات ، مع اقتراح من لجنة المناقشة بطبع الرسالة على نفقة الجامعـة •

ورئاسة ديوان الاوقاف اذ تقوم بدفع هذا الكتاب القيم الى المطبعـة لأول مرة في تأريخه ، وتضعه بين أيدي الطلاب والمتخصصين • لترجو أن يتيسر لها تكرار المحاولة مـــع درة أخرى من بحار العلوم الاســـلامية والعربية فتخرجها من زحام الاجيال وتراكم السنين الى عالم المداولـــة والبحث • انسجاما مع الجوانب الحيوية للفكر الاسلامي والثقافة العربية ، وتمكينا لاهل العلم من استكمال اسباب الدرس والتحصيل •

والله ولي التوفيق

نافـع قاسم

رئيس ديوان الأوقاف

مُقَدِّمَةُ التَّحْقِيق



أبو حامد الغزالي(١)

١ ــ عصــره :

عاش الامام الغزالي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، أي في قسم من الفترة التي يسميها المؤرخون : العصر العباســي الثالث ، من سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، الى اربع وسبعين واربعمائة للهجـــرة [٣٣٤ ــ ٤٧٤] وفي الفترة التي تليها .

واذا كان العصــــر العباسي كله قد اتســـم بكثرة الأحداث وتعدد الاتجاهات والنزعات مع اتساع الرقعة وضخامة الملك وتصارع قوى الدين والدنيا ــ فقد كان القسم الثالث من هذا العصر أكثر تأثرا بهــذه الظواهر ، بسبب ما وقع فيه من اضطراب وخلل في كيان الدولة والمجتمع .

ففي هذا العصر ضعفت الخلافة الاسلامية ، وكان الملك العربي على أهبة التقوض بعد اشتداد الصراع بين البويهيين ، والسلاجقة الوافدين من نيسابور : متطلعين الى ارث دولة بني بويه . وقد تم لهم ما أرادوا فاستولوا على بغداد ، وبسطوا ظلال حكمهم على العراق قبل مولد الغزالي بثلاث سنين ؟ وكان ذلك بقيادة مؤسس دولتهم : ركن الدين أبى طالب ، المعروف

---

(١) انظر ترجمته في : اتحاف السادة (١/٦ ــ ٤٨) ، والبدايـــة والنهاية (١٢/١٧٣) وتأريخ دمشق لابن عســـاكر (٣١/٣٤٠ ــ ٣٤٨) وسير النبلاء للذهبي (١٢/٧٤ ــ ٨١) والشذرات (٤/١٠ ــ ١٣) والكامل لابن الأثير (١٠/١٧٣) وطبقات الشافعية (٤/١٠١ ــ ١٨٢) و طه الحلبي (٦/١٩١ ــ ٣٨٩) . وطبقات الزيدية (٤١٤ ــ ٤١٥) ومرآة الجنـــان (٣/١٧٧ ــ ١٩١) ومرآة الزمان (٨/٣٩ ــ ٤١) ومفتاح السعادة (٢/١٩١ ــ ٢١٠) والمنتظم (٩/١٦٨ ــ ١٧٠) والنجـــوم الزاهرة (٥/٢٠٣) والوافي بالوفيات (١/٢٧٤ ــ ٢٧٧) والوفيات (٣/٣٥٣ ــ ٣٥٥) .

بطغرل بك • وبعد دخوله بغداد ومثوله أمام الخليفة العباسي القائم بأمر الله، منحه لقب السلطان ــ بعد أن حاول أحد الموالين للفاطميين أن يخلع هذا الخليفة ؛ فجاء طغرل بك وأعاده الى الخلافة ، فكافأه الخليفة بهذا اللقب وبمنح أخرى • وأصبحت السلطة الفعلية في يد السلاجقة ، واقتصر أمر الخلافة العباسية على السلطة الروحية أو الظاهرية الشكلية تقريبا •

وفي هذا العصر ــ أيضا ــ اشتد أوار العقيدة الباطنية الاسماعيلية ، بمساعى الحسن بن الصباح الاسماعيلي المتوفى سنة ٥١٨هـ • وهي عقيدة تقوم على أساس القول بالامام المنتظر المعصوم • كما اتخذت من سفك الدماء والعدوان واباحة الحرمات منهجا لها تسير عليه وتدعو اليه • وحسبنا أن نعرف أن واحدا من معتنقي هذه العقيدة قد اعتدى على الوزير نظام الملك فقتله سنة ٤٨٥هـ • ثم أعتدى آخر منهم على الوزير فخرالملك بن نظام الملك فقتله سنة ٥٠٠هـ • وحينما كان الباطنية يقتلون ويسفكون الدماء ويغتالون قادة المسلمين ، كانت الحملات الصليبية تنشـر وباءها في بلاد الاسلام ، وكأنما كان الفريقان على ميعاد •

وفي هذا العصر كذلك قوى الصراع بين مذاهب أهل السنة والجماعة، بعد أن اشتركت الحماسة المذهبية والتقليد الأعمى في تحريك هذا الصراع• فقد كان السلاجقة مثلا يتبعون المذهب الحنفي في أول الأمر ويبثونه في خراسان ؛ وقد بالغ وزيرهم عميد الملك منصور بن محمد الكندرى في نصرة هذا المذهب والتعصب له ، فحسن للسلطان طغرل بك لعن المبتدعـة على المنابر ، فأمر السلطان بذلك ، فاتخذ الكندرى هذا ذريعة الى ذكـر الأشعرية ، وصار يقصدهم بالاهانة والأذى ، والمنع من التدريس والوعظ ، وعزلهم عن الخطبة في المساجد • واستعان بطائفة من المعتزلة الذين زعموا أنهم يقلدون مذهب أبى حنيفة ، وأشربوا في قلوبهم عقائد الزيغ والضلال فحسنوا للسلطان الازراء بمذهب الشافعي عموما ، وبمذهب الأشـعرية

خصوصا ، فكانت فتنة عم شرها ، وأدت بالأمة الى التشتت والنزاع ، وشيوع التعصب والعداء •

ولا يفوتنا أن نشير الى الفتنة التي اشتعلت بين الحنابلة والأشـعرية ، والحنابلة والشيعة ببغداد ؛ وقد استدامت بشكل خطير ، ولم تخل عنها فترة من فترات ذلك العصر ، وكانت الأمة تدفع ثمن هذه الفتن : ضحايا بشرية كثيرة ، وخسـرانا فكريا وروحيا وماديا كبيرا[1] •

واذا كان طابع عصـر الامام الغزالي هـو ما أسـلفناه على المستوى السياسي والاجتماعي ـ فانه بالنظر الى المستوى الحضاري والثقافي والانتاج العلمي ، نجد أن هذه الحقبة من الزمن قد امتازت بنهضة علمية شاملة ؛ فازدهرت فيها الدراسات الاسلامية في التفسير والحديث والأصول والفقه والفلسفة والمنطق ، بفضل تلاقي حضارات الأمم المختلفة • فقد كان لسيطرة السلاجقة على ايران والعراق وما جاورهما آثار واضحة في مختلف مظاهر الحضارة في عصرهم •

والباحث لا يستطيع الا أن يقف مبهورا أمام عظم المنجزات الرائعة التي قام بها السلاجقة : من مقاومة للغزو الأوربي ، ووعى لخطر المذاهب الباطنية ، والعمل على دحرها ورد باطلها ، ونشاط كبير في انشاء المدارس ودور العلم ، وعناية بالدارسين والباحثين • فكأن محط نظرهم هو أن العلم من أهم الأسلحة التي ينبغي أن تتوفر للأمة لصد العدوان عنها ، ورد كيد الطامعين فيها ، والطاعنين عليها • وقد كانت اليد الطولى في هذه النهضة

---

(١) راجع فيما تقدم : طبقات الشافعية (٢/٢٦٩ ـ ٢٧٥) ومرآة الزمان (٨/٤١ ـ ٥١) والمنتظم (٨/٣٠٥ و ٣٢٦ ، ٩/٢٠ و ١٧٠) والكامل لابن الأثـير (٩/١٧٥ و ١٩٥ و ٢١٤ و ٢٢١ و ٢٢٧ ، ١٠/٤٦) وتأريخ الاسلام للذهبي ج١٢ • دار الكتب رقم ١٢١٩٥ح •

للوزير السلجوقي نظام الملك[1] مؤسس المدارس النظامية الكثيرة في أنحاء العالم الأسلامي ٠

في هذا العصر ـ بما فيه من زوابع وعواصف ، وما يكدره من شدائد ومحن ـ ولد الامام الغزالي ونشأ ؛ فلما اشتد عوده ، ورأى مجتمع المسلمين يضطرب : جعل كل همه ـ بما أوتي من مواهب وقدرات بفضل استمداده من هدى كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين ـ أن يساهم برسم ما قد يكون هو الطريق الأمثل لهذه الأمة ، لتسير فيه آمنة مطمئنة ٠ فاستقبل المسلمون بظهوره عصرا جديدا وحياة فكرية منتعشة زاهـرة ٠

* * *

٢ ـ اسمه ونسبه ومولده :

هـو أبو حـامد زين‌الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي[2] ٠ وقد ثار خلاف حول أصله : أعربي هو أم فارسي ؟ فهناك من ذهب الى أنه من سلالة العرب الذين دخلوا بلاد الفرس منذ بداية

---

(١) أبو علي حسن بن علي بن اسحاق الطوسي ، ولي الوزارة لألب آرسلان ، ثم من بعده لابنه ملكشاه ، وقد توفي في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ٤٨٥هـ ٠ انظر المنتظم (٩/ ٦٤ ـ ٦٨) وطبقات الشـافعية (٣/ ١٣٥ ـ ١٤٥) ٠

(٢) نسبة الى طوس ، وهي ثاني مدينة في خرسان بعد نيسابور ٠ وكانت تتألف من بلدتين ، يقال لاحداهما : الطابران ، وللأخرى نوقان ، ولهما اكثر من ألف قرية ٠ وبطوس يوجد قبر الامام علي بن موسى الرضا، وقبر هارون الرشيد ٠ وفي سنة ٦١٧هـ ٠ دمرت جحافل المغول مدينـة طوس تدميرا تاما لم تنهض منه ، وانما نشأ بعد ذلك عمارة الى جوار مشهد الرضا وقبر الرشيد ، ومن ثم ظهرت مدينة : « المشهد » ٠ منذ القرن الثامن الهجري ، تحيط بها قبور كثيرة ، من بينها قبر الغزالي ، الى شرقي ضريح الامام الرضا ٠ انظر معجم البلدان ٣ : ٥٩٠ ٠ والوفيـات ١ ، ٨١ ٠

الفتح الاسلامي ، ومن الباحثين من ذهب الى أنه من أصل فارسي • وليس يضير امامنا أن يكون فارسي الأصل ، ولد ونشأ مسلما ، وتكلم بالعربية وخدم لغة القرآن وشريعة المسلمين ؛ كما أن اثبات العربية لأصله لن يضيف اليه مجدا يعتد به في مجتمع يحكمه قانون : أن لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح •

في مدينة الطابران ، وفي سنة خمسين واربعمائة للهجرة ، ولد امامنا لأب فقير صالح • وقد حدثتنا المصادر التي رجعنا اليها في ترجمة الامام : أن أباه كان رجلا متدينا ورعا ، يشتغل بغزل الصوف[1] ، ليكسب قوته من عمل يده ، ويبيع هذا الصوف في دكان له بطوس ؛ وكان يحب العلم والعلماء : وفي أوقات فراغه يطوف على الفقهاء والوعاظ يجالسهم ويستفيد منهم ، حتى اذا سمع كلامهم بكى وتضرع ، وتمنى على الله أن يرزقه أبناء كهؤلاء ؛ فاستجابت الارادة الالهية لدعائه ، فكان له محمد أشهر علماء عصره ، وأحمد أخوه وكان واعظا مشهورا • الا أن الايام لم تمهل هذا الأب ليشهد أمله وقد تحقق ، فرحمه الله وأكرم مثواه •

ولما حضر الموت أبا الغزالي ، أوصى بولديه محمد وأحمد الى صديق له صوفي صالح وقال له : ان لي تأسفا عظيما على تعلم الخط ، وأشتهي

---

(١) من هنا كانت النسبة الى العمل الذي كان يقوم به والده • وعلى هذا فان الغزالي بتشديد الزاي نسبة الى الغزال – كما ذكر ابن خلكان – على عادة أهل خوارزم وجرجان في نطق النسبة بعد النسبة ، فأبوه نسب الى غزل الصوف فسمي الغزال ، وأبو حامد نسب الى أبيه فصار الغزالي • ويروى أنه ولد في قرية غزالة من قرى طوس ، وعلى هذا فالزاي غير مشددة • ويعلق ابن خلكان على رواية عدم التشديد بأنها خلاف المشهور • ونسبها الى ابن السمعاني • الوفيات ١ : ٨١ • الا أن اللقب اشتهر بتخفيف الزاي وغلب وشاع الى اليوم • انظر المصباح المنير (غزل) والوافي بالوفيات ١ : ٢٧٧ والاتحاف ١ : ١٨ •

استدراك ما فاتني في ولدى هذين ، فعلمهما ، ولا عليك أن ينفد في ذلك جميع ما أخلفه لهما » •

فلما مات استجاب الصوفي الصالح لرجاء الوالد الراحل ، وظل يوليهما عنايته ورعايته ، حتى نفد ما تركه الوالد من مال •

ولما كان الوصي رجلا فقيرا لا يملك شيئا ذا بال ، وتعذر عليه الاستمرار في الانفاق على الأخوين ـ قال لهما : اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ؛ وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ الى مدرسة ـ فانكما من طلبة العلم ـ فيحصل لكما قوت يعينكما » •

وانما أشار عليهما أن يدخلا مدرسة ، لأن المدارس الاسلامية كان منهجها من قديم الزمان أن تعاون طلابها على طلب العلم بتيسير أسباب القوت وضرورات الحياة •

وأطاع الولدان النصيحة ، ودخلا المدرسة ، وأكبر همهما أن يضمنا القوت لنفسيهما • وكان أبو حامد يحكى هذا ويقول : فصرنا الى مدرسة نطلب الفقه ، وليس المراد سوى تحصيل القوت ، فكان تعلمنا لذلك لا لله ، فأبى الا أن يكون لله[1] •

★ ★ ★ ★

٣ ـ شيوخه :

لم يصل الينا ما يعرفنا اسم تلك المدرسة وشيوخها ، التي دفع اليها الغزالي وأخوه في مطلع فتوتهما : لضمان قوتهما • وأول ما طالعتنا به

---

(١) انظر طبقات الشافعية (١٠٢/٤) واتحاف السادة (٧/١) •

كتب التراجم في ذكر شيوخه : هو طلبه علم الفقه على أستاذه أحمد بن محمد الراذكاني الطوسي[1] ، ثم تطلع الى آفاق أوسع مما عاش وما طلب، فارتحل الى جرجان ، وهناك تتلمذ على أبي القاسم اسماعيل بن مسعدة الاسماعيلي[2] • وكان يدون ما يتلقاه منه في مذكراته وكتبه •

وفي طريق عودته من جرجان الى بلده ، وقعت له حادثة كان لها أثر بليغ في حياته ، دفعه الى أن يغير طريقته التي أعتادها في الطلب والتلقي؛ حكاها بقوله : قطعت علينا الطريق ، وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا ، فتبعتهم ، فالتفت الي مقدمهم وقال : ارجع ويحك والا هلكت • فقلت له : أسألك بالذي ترجو السلامة منه ، أن ترد على تعليقتي فقط ، فما هي بشيء تنتفعون به • فقال لي : وما هي تعليقتك ؟ • فقلت : كتب في المخلاة ، هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها • فضحك وقال : كيف تدعى أنك عرفت علمها ، وقد أخذناها منك : فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم » ؟• ثم أمر بعض أصحابه فسلم الى المخلاة •

فاعتبر الامام الغزالي هذا مستنطقا من الله سبحانه ليعطيه درساً مفيدا مثمرا على مدى العمر ، فأقام بعد ذلك بطوس ثلاث سنين يعاود قراءة مذكراته ومطالعة أوراقه ، حتى حفظ جميع ما علقه ، بحيث لو قطع عليه

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٣/٣٦) •

(٢) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٣/١٢٩ ــ ١٣٠) وقد ذكر ابن السبكي والمرتضى انه أبو نصر الاسماعيلي • الطبقات (٤/١٠٣) واتحاف السادة (١/٧) • وهذا خطأ ، لأن أبا نصر الاسماعيلي توفى سنة ٤٠٥هـ • على ما ذكره ابن السبكي في ترجمته (٣/٣٧) فلا يمكن أن يكون الغزالي قد حضر عليه •

الطريق لم يتجرد من علمه[1] .

ولم يقنع الامام الغزالي في طلب العلم بما حصل . فخرج من طوس قاصدا نيسابور ، أكبر مدن خراسان . وفي تلك المدينة اتصل بامـام الحرمين ، أبى المعالي ضياء الدين عبدالملك الجويني[2] ، وتتلمذ عليـه ولازمه وجد واجتهد ؛ فأعجب الأستاذ بتلميذه ، فزاد تقريبه اليه ، ومكن لـه في محبته واحترامـه ؛ وبقى يجـاور الامام ويصـحبه حتى وفاتـه سـنة ٤٧٨هـ .

وأخذ التصوف عن الامام يوسف النساج . والامام الزاهد أبى على الفضل بن محمد بن علي الفارمذى الطوسي ، من أعيان تلامذة أبى القاسم القشـيري[3] .

وأخذ الحديث عن أبى سهل محمد بن أحمد الحفصي المروزي ، فقد سمع عنه صحيح البخارى[4] .

ومن شيوخه في الحديث ـ أيضا ـ أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي . وأبو محمد عبدالله بن أحمد الخوارى . ومحمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزوزني . والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبى الحسن الرؤاسي الدهستاني . ونصر بن ابراهيم المقدسي[5] .

---

(١) انظر طبقات الشافعية (١٠٣/٤) واتحاف السادة (٧/١) وفريد رفاعي (٨٩/١ ـ ٩٢) .

(٢) انظر طبقات الشافعية (٢٤٩/٢ ـ ٢٨٢) .

(٣) تاريخ ابن عساكر (٣٤٥/٣١) وسير النبلاء (١٢/١٧٥أ) واتحاف السادة (١٩/١) .

(٤) مرآة الزمان (٤١/٨) وتاريخ ابن عساكر (٣٤١/٣١) واتحـاف السادة (١٩/١) .

(٥) اتحاف السادة (١٩/١) وطبقات الشافعية (١١١/٤) .

فاكتملت له ـ بهذه الدراسات وغيرها ـ الامامة والرياسة ، واستحق ثناء الأكابر عليه من مشايخه وممن عاصره أو أتى بعده ؛ حتى قال عنه تلميذه محمد بن يحيى النيسابوري : لا يعرف الغزالي وفضله الا من بلغ أو كاد أن يبلغ الكمال في عقله »[١] . وكان أستاذه امام الحرمين يظهر التبجح به ، ويصفه بأنه بحر مغدق[٢] . وهذا ليس بكثير على فتى بكرت بـه الرجولـة ، وجد واجتهد حتى بـرع في المذهب والخلاف والجدل ، وأصول الدين والفقه ، والمنطق والحكمة والفلسفة ؛ وأحكم كل ذلك بعد فهم سليم لكلام أرباب هذه العلوم ، يحيط بهذا كله ، شدة ذكاء ، وسداد نظر ، وقوة حافظة وحجة .

* * *

٤ ـ امامتـــه :

لقد بزغ نجم الامام ، بعد وفاة أستاذه امام الحرمين ؛ اذ خرج الى المعسكر قاصدا الوزير نظام الملك ، الذي كان مجلسه مجمع أهل العلم وملاذهم ، فناظر الأئمة من العلماء في مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه عليهم ، فاعترفوا بفضله وتمكنه ، ورأوا فيه اماما اجتمعت له الموهبة الأصيلة والتحصيل الواسع .

عندئذ تلقاه النظام بالاحترام والتبجيل ، وولاه تدريس مدرسته بغداد ، وطلب منه التوجه اليها . فقدم بغداد سنة أربع وثمانين وأربعمائة وتولى التدريس ونشر علم الشريعة في النظامية ، وحضر دروسه الكثير من العلماء وكبار الأئمة ببغداد فأعجبوا به ، ونقلوا آراءه وكلامه في كتبهم[٣] .

---

(١) انظر طبقات الشافعية (٤/١٠٦) واتحاف السادة (١/١٠) .

(٢) انظر طبقات الشافعية (٤/١٠٣) .

(٣) انظر المنتظم (٩/١٦٩) وطبقات الشافعية (٤/١٠٤) .

وبقى على هذه الحال مدة أربع سنوات تقريبا ، الى أن انقلب امره ، فترك المنصب . واطرح ما نال من حشمة ودرجة ، للاشتغال بالتقوى وزاد الآخرة . فاستناب أخاه أحمد في التدريس ، وخرج من بغداد ، وقام بزيارة دمشق وبيت المقدس والخليل ـ فك الله اسارهما ـ وعاد الى دمشق ثانية ومكث بها مدة ، ثم أدى فريضة الحج وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طيلة هذه الرحلة منصرف عن الخلق بالكلية ، متزهد لابس خشن الثياب[1] .

وبعد الانتهاء من أداء الفريضة ، عاد الى بغداد سنة ٤٩٠هـ . ولكنه لم يعد الى الظهور والتدريس ، بل نزل في رباط للصوفية يقع في مواجهة المدرسة النظامية[2] . وبعد أشهر قلائل ، عاد الى وطنه بطوس ، فأقام بها مقبلا على التصنيف والعبادة وملازمة التلاوة ، وعدم مخالطة الناس .

وفي سنة ٤٩٨هـ ولى فخر الملك علي بن نظــام الملك الوزارة في نيسابور . فقصد الامام الغزالي وسمع منه وتتلمذ عليه ، وألح في معاودته

---

(١) ذكرت بعض كتب التراجم أن الامام الغزالي قصد ـ بعد زيارة بيت المقدس ـ مصر وأقام بالاسكندرية مدة ، وكان قصده الركوب الى بلاد المغرب لزيارة الامير يوسف بن تاشفين . وقد انكر هذه الرواية صاحب مرآة الجنان (١٧٨/٣ ـ ١٧٩) وقال : كيف يذكر أنه قصد الملك المذكور لأرب ، وهو من الملوك والمملكة هرب ؟ فقد كان له في بغداد الجاه الواســع والمقام الرفيع . فاحتال في الخروج عن ذلك ، وتعلل : بأنه الى الحج سالك، لأداء ما عليه من فروض المناسك . ثم عدل الى الشام ، وأقام بها ما أقام ». وراجع مؤلفات الغزالي لبدوى (٢٣) .

(٢) في هذه الفترة التقى به أبو بكر ابن العربي ـ للمرة الثانية ـ وجرت بينهما مناقشات روحية. فراجع القواصم والعواصم (٨ ـ أ) وشجرة النور الزكية (١٣٨) .

التدريس كل الالحاح . فأجابه الى ذلك ، وعاد الى التدريس في نظامية نيسابور ، وبقي على هذه الحال مدة لم تقدرها كتب التراجم[1] ، عاد بعدها الى وطنه ، وبنى دارا حسنة وغرس حولها بستانا[2] ، واتخذ في جواره مدرسة ورباطا للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف الخير : من ختم القرآن ودراسة الحديث ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس ؛ الى أن اختاره الله سبحانه لكريم جواره ، فمضى الى رحمته يوم الاثنين : الرابع عشر من جمادي الآخرة سنة خمس وخمسمائة . فرضى الله عنه وأكرم مثـواه .

★ ★ ★ ★

٥ ـ تلامذتـه :

انه لمن العسير على الباحث أن يحيط بمعرفة جميع من تتلمذ عـلى الامام الغزالي وتلقى عنه ؛ بعد أن وجدنا أبا بكر ابن العربي يقول : رأيته (أي الغزالي) ببغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم ، يأخذون عنه العلم[3] . وبعد أن انتشرت كتبه ومصنفاته في حياته بين مشرق العالم الاسلامي ومغربه ، حتى انه صادف دخولـه يوما الى مدرسة في دمشـــق فوجد المدرس يقول : قال الغزالي . وهـو يدرّس من كلامه[4] .

---

(١) لعل الامام اعتزل التدريس بها بعد اغتيال فخر الملك على يد أحد الباطنية سنة ٥٠٠ . انظر الطبقات (٤/١٠٨ و ١١١) ومرآة الزمان (٨/٤٠ و ٤١) وانظر في حادثة مقتل فخر الملك : المنتظم (٩/١٤٨ ـ ١٤٩).

(٢) راجع مرآة الزمان (٨/٤١) والبداية والنهاية (١٢/١٧٣) .

(٣) انظر الشذرات (٤/١٣) .

(٤) انظر طبقات الشافعية (٤/١٠٥) .

ومع هذا ، فاننا سنحاول أن نتعرف على بعض تلامذته ممن ورد ذكرهم في كتب التراجم :

فمن هؤلاء : القاضي أبو نصر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الخَمْقَري البَهُوني ، من أهل بهونة : احدى قرى خمس من قرى مرو ، ويقال لمن ينسب اليها : خمقرى . تفقه على الامام بطوس وسمع الحديث من آخرين وتوفى سنة ٥٤٤هـ[١] .

ومنهم : الامام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن بَرهان الأصولى : كان أولا حنبليّ المذهب ، ثم انتقل وتفقه على الشاشي والغزالي والكيا . وتوفى سنة ٥١٨هـ[٢] .

ومنهم : أبو منصور محمد بن اسماعيل بن الحسين بن القاسم العطارى الطوسي الواعظ ، تفقه على أبى حامد بطوس . وتوفى سنة ٥٧٣هـ[٣] .

ومنهم أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد النَوْقَاني ، الملقب بالسديد ، توفى مقتولا في حادثة الغز بمشهد علي الرضا سنة ٥٥٤هـ[٤] .

ومنهم : أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت ، الملقب بالمهدي ، صاحب دعوة سلطان المغرب عبدالمؤمن بن علي . دخل المشرق ، فتفقه على أبى حامد والكيا[٥] .

ومنهم : أبو حامد محمد بن عبدالملك الجَوْزَقاني الاسفرَايِنْي .

---

(١) انظر طبقات الشافعية (٤/٣٨ ـ ٣٩) واتحاف السادة (١/٤٤).

(٢) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٤/٤٢) .

(٣) المصدر السابق : (٤/٦٥ ـ ٦٦) .

(٤) المصدر السابق : (٤/٦٦) .

(٥) المصدر السابق : (٤/٧١ ـ ٧٤) .

تفقه على أبي حامد ببغداد[١] .

ومنهم : أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله العراقـي البغدادي ، تفقه على أبي حامد والكيا والشاشي ، وبقي بعد الأربعين وخمسمائة[٢] .

ومنهم : أبو سعيد محمد بن علي الجاواني الكردى . حدث بكتاب الجام العوام للغزالي عنه ؛ وقرأ المقامات الحريرية على مؤلفها[٣] .

ومنهم : الامام أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري ، من أشهر تلاميذ الغزالي . استشهد في رمضان سنة ٥٤٨هـ في فتنة الغز[٤] .

ومنهم : أبو طاهر ابراهيم بن المطهر الجرجاني . حضر دروس امام الحرمين بنيسابور ثم صحب الغزالي ورافقه في أسفاره . ثم عاد الى وطنه جرجان ، واشتغل بالتدريس والوعظ الى أن قتل شهيدا سنة ٥١٣هـ[٥] .

ومنهم : أبو عبدالله الحسين بن نصر بن محمد الجهني الموصـلي المتوفى سنة ٥٥٢هـ[٦] .

ومنهم : خلف بن أحمد النيسابوري . ذكره ابن الصلاح في مشكل الوسيط وقال : بلغنى أنه توفى قبل الغزالي . وله عن الغزالي تعليقة[٧] .

ومنهم : أبو الحسن سعد الخير الأنصاري المغربي الأندلسي ، تفقه على الغزالي ببغداد وتوفى سنة ٥٤١هـ[٨] .

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٤/٨٦) .
(٢) المصدر السابق : (٤/٨٨) .
(٣) المصدر السابق : (٤/٨٨) .
(٤) المصدر السابق : (٤/١٩٧ ـ ١٩٨) .
(٥) المصدر السابق : (٤/٢٠٠) .
(٦) المصدر السابق : (٤/٢١٧) .
(٧) المصدر السابق : (٤/٢١٨) .
(٨) المصدر السابق : (٤/٢٢٠ ـ ٢٢١) .

ومنهم : أبو عبدالله شافع بن عبدالرشيد بن القاسم الجيلي . تفقه على الكيا وأبي حامد . وتوفي سنة ٥٤١هـ[١] .

ومنهم : الأستاذ أبو طالب عبدالكريم بن علي بن أبي طالب الرازي . تفقه على الكيا والغزالي وتوفي سنة ٥٢٢ أو سنة ٥٢٨هـ[٢] .

ومنهم : الامام أبو منصور سعيد بن محمد الرَّزاز ، من كبار أئمة بغداد . تفقه على الغزالي والشاشي والكيا والميهني ، وتولى تدريس نظامية بغداد وتوفي سنة ٥٣٩[٣] .

ومنهم : علي بن محمد بن حَمُّوَيْه الصوفي . تفقه على الامام الغزالي بطوس[٤] .

ومنهم : أبو الحسن علي بن المطهر بن مكي الدِّينَوَرِي ، من كبار تلاميذ الغزالي في الفقه . توفي سنة ٥٣٣هـ[٥] .

ومنهم : أبو عبدالله مروان بن علي بن سلامة الطَّنْزِي ، من قرية طنزة بديار بكر . ورد بغداد وتفقه بها على الغزالي والشاشي وتوفي سنة ٥٤٠هـ[٦] .

ومنهم : أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد السُّلَمِي . جمال الاسلام. لازم الامام مدة اقامته بدمشق وأخذ عنه. وتوفي سنة ٥٣٣هـ[٧].

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية (٤/٢٢٥) .

(٢) المصدر السابق : (٤/٢٥٨ ـ ٢٥٩) .

(٣) المصدر السابق : (٤/٢٢١ ـ ٢٢٢) .

(٤) المصدر السابق : (٤/٢٨١) .

(٥) المصدر السابق : (٤/٢٨٤) .

(٦) المصدر السابق : (٤/٣٠٨) .

(٧) المصدر السابق : (٤/٢٨٣) .

ومنهم : أبو عامر دغش بن علي النعيمي الموفقي ، خرج الى طوس ، وأقام عند الامام مدة ، وأخذ عنه . توفى سنة ٥٤٢هـ[١] .

ومنهم : الرضى بن مهدي بن محمد الزيدي . فقد ذكر صاحب طبقات الزيدية أنه ارتحل الى عتبة أبى حامد وتتلمذ وروى عنه كل مصنفاته[٢] .

ومنهم : أبو بكر ابن العربي[٣] ، فقد ذكر في كتابه القواصم والعواصم [٨ - أ] : أنه قرأ عليه جملة من كتبه »[٤] .

* * *

٦ - كتبه الأصولية :

كتاب كثيرون في القديم والحديث عنوا بالبحث في مؤلفات الغزالي وحصرها . وآخر كتاب في هذا الجانب ، قام بوضعه الأستاذ عبدالرحمن بدوي . وقد ضمنه ثبتا تفصيليا بمؤلفات الامام الغزالي ، مستفيدا من كل ما كتبه علماء التراجم والباحثون في مؤلفات الغزالي : من مسلمين وغير مسلمين ، قبله .

وقد جعل كتابه على سبعة أقسام . الأول : في الكتب المقطوع بصحة نسبتها الى الغزالي . الثاني : كتب يدور الشك في صحة نسبتها له . الثالث : كتب من المرجح أنها ليست له . الرابع : أقسام من كتب الغزالي ،

---

(١) انظر اتحاف السادة (٤٥/١) . وانظر فيما تقدم من التلاميذ : اتحاف السادة (٤٤/١ - ٤٥) وفريد رفاعي (١٦٩/٢ - ١٧٦) .

(٢) انظر طبقات الزيدية ل (٤١٤ - ٤١٥) .

(٣) المتوفى سنة ٥٤٣ . انظر ترجمته في الوفيات (٤٨٩/١) والديباج المذهب (٢٨١) .

(٤) وانظر مقدمة محبالدين الخطيب لفصلة من كتاب ابن العربي سماها العواصم من القواصم ط السلفية .

أفردت كتبا مستقلة ، وكتب وردت بعنوين متغايرة . الخامس : كتب منحولة . السادس : مخطوطات موجودة ومنسوبة الى الغزالي . وقد قام بطبعه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة . ومع هذا ، فاني في هذا المقام أردت أن أكتب عن مؤلفات الامام في أصول الفقه خاصة ، لمعرفة مكانة كتاب الشفاء من كتبه هذه ومنزلته منها . مرجئا الكتابة عنها عامة الى فرصة أخرى ان شاء الله تعالى .

ان أول كتاب وضعه الامام الغزالي في الأصول هو : « المنخول من تعليق الأصول » . فقد ذكر ابن السبكي أنه ألفه في حياة أستاذه امام الحرمين[١] . ونقل بعض المؤرخين عن امام الحرمين قوله ــ لما عرض الغزالي عليه كتاب المنخول ــ : دفنتني وأنا حي ، فهلا صبرت الى أن أموت[٢] ؟ .

ونحن نستبعد هذا النقل عن امام الحرمين ، فان الغزالي لم يكن في منزلة المنافس لأستاذه أو المسابق له ، بل انه وضع كتابه هذا بعد أن درس الأصول على امام الحرمين . فأراد أن يدون في الأصول كتابا يضمنه آراء امامه وطريقته في هذا العلم . وفي هذا يقول الغزالي : « انه (أي كتاب المنخول) النهاية في الوفاء بطريقة امامي فخر الاسلام امام الحرمين ، قدس الله روحه »[٣] .

وقد جاء ذكر كتاب المنخول في الشفاء في ثلاثة مواضع :
أولها : حينما بين منهجه في كتابه الشفاء ، فقال : « فاني سقت

---

(١) انظر طبقات الشافعية (١/١١٦) .

(٢) انظر المنتظم (٩/١٦٨ ــ ١٦٩) وسير النبلاء (١٢/١٧٧أ) ومرآة الجنان (٣/١٨١) .

(٣) انظر شفاء الغليل (٨) .

الكلام في هذا الكتاب على نهاية الانقباض عن التعرض لما اشتمل عليه كتاب « المنخول من تعليق الأصول »[1] •

وثانيها : حين بين السبب في ترك تناول بعض مسائل القياس في الشفاء ، فقال : وما أخللته من كتاب القياس : مما لم أتعرض له ، فهو منقسم الى ما رأيته جليا يستغنى بكتاب المنخول عنه ••• الخ »[2] •

وثالثها : قوله ـ في حكاية مذهب أبى بكر الباقلاني في الطرد والعكس ـ « الى كلمات مشهورة قررناها في كتاب المنخول من الأصول »[3] •

وكتاب المنخول لم ينشر بعد ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية رقم [١٨٨] أصول • ونسخة أخرى في الخزانة الأزهرية ، رقم [١٤٦٢] أصول •

ثم ألف الامام الغزالي بعد المنخول كتابه « شفاء الغليل » • وسنتكلم عليه فيما بعد •

وهناك كتاب ثالث في الأصول ، وأسمه « تهذيب الأصول » قد ذكره الامام الغزالي في المستصفى اذ قال : فاقترح على طائفة من محصلي علم الفقه تصنيفا في أصول الفقه ، أصرف العناية فيه الى التلفيق بين الترتيب والتحقيق ، والى التوسط بين الاخلال والاملال ، على وجه يقع في الفهم دون كتاب « تهذيب الأصول » لميله الى الاستقصاء والاستكثار ، وفوق كتاب المنخول « لميله الى الايجاز والاختصار »[4] •

---

(١) انظر الشفاء (٨) •

(٢) انظر الشفاء (١٦)•

(٣) انظر الشفاء (٢٦٧) •

(٤) انظر المستصفى (١/٤) • وقد أحال الامام الغزالي اليه في تفصيل المذاهب في الشبه فقال : « وقد استقصيت ذلك في تهذيب الأصول » ، المستصفى (٢/٣١٨) •

من هذا يتبين أن كتاب التهذيب كتاب ضخم واسع • ولا يعرف عن الكتاب اكثر من هذا الذي ذكره عنه مؤلفه ، ولم يعثر عليه الى الآن •

الكتاب الأصولي الرابع للامام الغزالي هو « المستصفى من علم الأصول » • وقد ألفه في فترة عوده الى التدريس في نظامية نيسابور • فقد قال الامام عن هذا : فتقاضاني في عنفوان شبابي اختصاص هذا العلم (يعني الفقه والأصول) بفوائد الدين والدنيا ، وثواب الآخرة ، أن أصرف اليه من مهلة العمر صدرا ، وأن أخص به من متنفس الحياة قدرا • فصنفت كتبا كثيرة في فروع الفقه وأصوله • ثم أقبلت بعده على طريق الآخرة ، ومعرفة أسرار الدين الباطنة • فصنفت فيه كتبا بسيطة ، ككتاب « احياء علوم الدين » ، ووجيزة ككتاب « جواهر القرآن » ، ووسيطة ككتاب « كيمياء السعادة » ثم ساقني قدر الله الى معاودة التدريس والافادة ، فاقترح علي طائفة من محصلي علم الفقه تصنيفا في الأصول ••• فأجبتهم الى ذلك مستعينا بالله ، وجمعت فيه بين الترتيب والتحقيق لفهم المعاني ، فلا مندوحة لأحدهما عن الثاني ، فصنفته وأتيت فيه بترتيب لطيف عجيب •••• وقد سميته كتاب « المستصفى من علم الأصول » •

والله تعالى هو المسئول ، لينعم بالتوفيق ، ويهدى الى سواء الطريق ، وهو باجابة السائلين حقيق »[1] • والكتاب قد طبع في القاهرة مرتين ، الأولى : بالمطبعة الأميرية ببولاق [١٣٢٢ ـ ١٣٢٤هـ] ومعه فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت [جزءان في مجلدين] • والثانية : بالمطبعة التجارية سنة ١٣٥٦هـ [جزءان في مجلد واحد] •

وقد اعتنى العلماء بكتاب المستصفى ، وتناولوه بالشرح والتعليق والاختصار •

---

(١) المستصفى (١/٣ ـ ٤) •

فممن قام بشرحه : أبو علي حسين بن عبدالعزيز الفهرى البلنسي المتوفى سنة ٦٧٩هـ[١] . وأبو عبدالله محمد بن محمد بن علي العبدرى في كتابه المسمى : « المستوفى »[٢] . وعليه تعليقه لسليمان بن داود بن محمد الغرناطي المتوفى سنة ٦٣٩هـ[٣] .

وممن اختصره : أبو العباس أحمد بن محمد الاشبيلي المتوفى سنة [٦٤٧ أو ٦٥١هـ][٤]. وأبو الوليد ابن رشد [الحفيد] المتوفى سنة ٥٩٥هـ[٥]

---

(١) انظر كشف الظنون (١٦٧٣/٢) وجاء في اتحاف السادة (٤٢/١) أن وفاته سنة ٧٧٦هـ .

(٢) انظر البحر المحيط للزركشي (٣/١ ـ أ) وانظر ترجمة العبدرى في شجرة النور الزكية (٢١٧) .

(٣) انظر كشف الظنون (١٦٧٣/٢) . وقد جاء في اتحاف السادة (٤٢/١) أن وفاته سنة ٨٣٢هـ . هذا وقد ذكر الاستاذ بدوى : أن النسفي شرح المستصفى واتمه سنة ٦٦٥هـ وله مخطوطة في برلين رقم (١١٩٨) انظر مؤلفات الغزالي (٢١٨) ونعتقد أن إلتباسا وقع لمن استقى منه الاستاذ بدوي هذا الخبر . ذلك أن عمر النسفي المتوفى سنة ٥٣٧هـ له منظومة في الخلاف . انظر كشف الظنون (١٨٦٧/٢) وقد قام أبو البركات النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ بشرحها شرحا بسيطا سماه المستصفى ثم اختصره وسماه المصفى : انظر كشف الظنون (١٨٦٧/٢) ومفتاح السعادة (٥٧/٢) . ولم نجد مصدرا آخر يشير الى أن النسفي الأول أو الثاني قد شرح مستصفى الامام الغزالي .

(٤) انظر البحر المحيط للزركشي (٣/١ ـ أ) واتحاف السادة (٤٢/١) وانظر ترجمته في شجرة النور الزكية (١٨٤) .

(٥) انظر البحر المحيط للزركشي (٣/١ ـ أ) .

وابن شاس وابن رشيق[1] ، والسهروردي الحكيم[2] ، وابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ في كتابه المسمى : بروضة الناظر ، وجنة المناظر[3] .

---

(١) انظر البحر المحيط للزركشي (١/٣ ـ أ) وانظر ترجمة : نجم‌الدين عبدالله بن محمد بن شاس في شجرة النور الزكية (١٦٥) والظاهر أن المراد بابن رشيق هو : قاضي القضاة أبو عبدالله محمد بن الشيخ أبى الحسن بن رشيق الربعي شيخ المالكية ، المتوفى سنة ٦٨٠هـ ، انظر ترجمته في شجرة النور (١٨٧) .

(٢) انظر كشف الظنون (٢/١٦٧٣) .

(٣) وقد طبع الكتاب مرتين بالمطبعة السلفية .

التعريف بكتاب شفاء الغليل

عنوان الكتـــاب :

تناولت كتب التراجم هذا الكتاب بعناوين مختلفة • فذكره ابن السبكي بعنوان « شفاء الغليل في بيان مسائل التعليل »[1] • والسيد مرتضى بعنوان « شفاء الغليل في بيان مسئلة التعليل »[2] • والعيدروسي بعنوان « شفاء العلل في القياس والتعليل »[3] • وجاء بمثل عنـــوان العيدروسي في كشـــف الظنـــون[4] •

والناظر في مقدمة كتاب الشفاء ، أو في آخر ورقة منه ـ يكون بمنجاة عن هذا الاضطراب ، اذ صرح الامام الغزالي في المقدمة بقوله : وسميته « شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل » • وفي ختام الكتاب يقول : هذا نهاية ما أردنا أن نذكره في الأركان الخمســـة من القياس ، مقتصرين على المقصد الذي أعرب عنه لقب الكتاب ، ووافين بما التزمناه : من « شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل » •

---

(١) طبقات الشافعية (١١٦/٤) وقد نبه الاستاذ بدوى على أنـــه ورد في مخطوطة الطبقات : « مسالك » بدل « مسائل » • وانظر الطبقـات ط الحلبي (٢٢٥/٦) •

(٢) اتحاف السادة (٤٢/١) ونحن نعتقد أن تصحيفا من المطبعة لحق هذا العنوان ، لان المرتضى في بيان مؤلفات الغزالي قال : ومنها : « شـفاء الغليل في بيان مسئلة التعليل رتبه على مقدمة وخمسة أركان • وهـو عندي » • والنسخة التي كانت عنده هي المحفوظة الآن بدار الكتب المصرية• وعليها نص تملك المرتضى • وعنوان هذه النسخة : « شفاء الغليل في بيان مسالك التعليل » فتكون كلمة : « مسئلة » ، مصحفة عن : « مسالك » •

(٣) انظر تعريف الاحياء بهامش اتحاف السادة (٣٠/١) •

(٤) انظر كشف الظنون (١٠٥١/٢) •

لهذا فاننا لم نتردد في أن نضع على الكتاب العنوان الذي ارتضاه له مؤلفه ، وهو « شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل » .

وقد وجدنا الامام الغزالي يكتفي بالجزء الأول من هذا العنوان وهو « شفاء الغليل » حينما يحيل اليه في كتاب المستصفى(1) .

موضوعات الكتاب وأقسامه :

يتألف كتاب الشفاء من مقدمة وخمسة أركان .

أما المقدمة : فيتناول فيها الامام الغزالي معنى القياس والعلة والدلالة ، والفرق بين القياس والعلة . وبين العلة والدلالة .

وأما الركن الأول : فقد استعرض فيه طرق اثبات العلية ، وفصل الكلام فيها باسهاب وسعة واحاطة بجميع أطراف الموضوع . فتناول اثبات العلة بالنص ، والتنبيه والايماء ، والاجماع ، ثم ذكر بعد ذلك اثبات العلية بالمناسبة ، فأفاض بالحديث عن معنى المناسب وحده وأقسامه ، ونقض ما ذهب اليه أبو زيد الدبوسي في المناسبة والاخالة ، ثم تكلم عن الاستدلال المرسل ، أو ما يسمى بالمصالح المرسلة ، وعن الشروط التي ينبغي توافرها لصحة التعليل بها ، ومذاهب العلماء في ذلك . مع الاكثار من الأمثلة والتطبيقات . ونستطيع أن نقرر أنه ـ رحمه الله ـ كان مستقل الشخصية والفكر في تناوله للمصلحة ، وفيما ذهب اليه من شروط للأخذ بها ، والتعويل عليها .

---

(1) ففي نهاية الكلام على طرق التنبيه والايماء قال : وقد أطنبنا في تفصيلها في كتاب شفاء الغليل ، وهذا القدر كاف هنا . (٢/٢٩٠) . وفي الكلام على رأي أبى زيد الدبوسي في المناسب قال : وذكرنا تفصيل أمثلته والاعتراض عليها في كتاب شفاء الغليل » (٢/٢٩٩) . وفي بحث تخصيص العلة قال : وهذا فيه كلام طويل ذكرناه في شفاء الغليل » (٢/٣٤٢) .

ثم يذكر طريق اثبات العلية بالاطراد والانعكاس ، أو ما يسمى بالدوران • فبعد أن يذكر مذاهب الأصوليين في دلالته على علية الوصف المذكور مع الحكم ، يبين أن مناط الغموض فيه ناتج من الاجمال في مقام التفصيل • فيتوفر على البحث فيه ، ثم يقسمه الى صحيح وفاسد ، ويكثر من الأمثلة التي تبين صحة التعليل به ، ويرد على ما قد يثور من شبهة في تلك الأمثلة ، مؤداها : أن التعليل فيها قام على وصف مناسب ، بينما الدوران أساسه التعليل بوصف لا يناسب ، ولكن الحكم يوجد بوجوده وينعدم بعدمه •

ثم يتناول الشبه وتعريفه ، والمذاهب في حجيته • وهنا يحقق الامام الغزالي أمرا في غاية الدقة والخفاء ، وهو : أن كثيرا من الخلافات يكون مرجعها تفاوت المصطلحات باختلاف المدارس ، والاعتياد في مناهج البحث ؛ ويبين أن من يوفق الى الرحلة والاطلاع على تفاوت هذه المناهج — يهون عنده ما قد يراه من اضطراب في القبول أو الرد • ويطبق هنا على الشبه ، ومدى جواز الاحتجاج به في معرفة كون الوصف علة • ثم يفرق بين هذا الشبه المختلف فيه ، وبين ما يسمى بقياس غلبة الأشباه ، ويخرجه من دائرة الخلاف ، لأن البحث فيه مقصور على تنقيح مناط الحكم ومتعلقه •

ويختم هذا الركن بالكلام على أشكال البراهين : برهان الاعتلال ، وبرهان الخلف وبرهان الاستدلال ، والاستدلال بالخاصية والنتيجة والنظير •

وأما الركن الثاني : فيتحدث فيه الغزالي عن العلة وحدّها ، وما يجوز أن يجعل علة • ويتناول مسائل تخصيص العلة ، والجمع بين علتين لحكم واحد ، والتعليل بالعلة القاصرة • وقد أكثر من ذكر التطبيقات من الفروع لهذه المسائل • ووجدناه — رحمه الله — يتتبع الخلاف في هذه المسائل الى أن

يوصلنا بعد البحث والتأمل ، الى أن الخلاف في بعضها لفظي لا طائل تحته •

ثم يبحث في آخر هذا الركن الفرق بين العلة والشرط ، ويبين معنى السبب في اصطلاح الفقهاء •

وأما الركن الثالث : فقد خصصه للكلام عن الحكم [أي حكم الأصل] فتناول فيه ما يجوز أن يثبت بالقياس وما لا يجوز ، وناقش ما نسب الى أبى زيد الدبوسي : من أن الأحكام تناط بالأسباب لا بالحكم ، وما يتعلق بهذا : من التعليل بالحكمة • ثم قرر أن نصب الأسباب للأحكام ، أحكام يجوز تعليلها • ثم ختمه ببيان مسئلة البقاء على الحكم الأصلي قبل الشرع ، وهل يعرف بالقياس ؟

وأما الركن الرابع : فقد تناول فيه الأصل ، وذكر شرائطه ، ومتى يصح القياس عليه؟ ثم بحث قول الفقهاء : ان هذهالمسئلة خارجة عن القياس• وأتى فيه بتفصيل وتمثيل أزال غموض المسئلة واشكالها •

والركن الخامس من الكتاب ، تناول فيه الفرع ، فبين شرائط الفرع المقيس على الاصـــل : من وجوب تقدم الاصـــل على الفرع وأن لا يكون منصوصا عليه الى غير ذلك من الشرائط •

★ ★ ★ ★

ملاحظات عامة حول الكتاب :

١ ـ ان المؤلف قد اعتمد في كتابه على اسلوب المناظرة ، والالزام بالحجة ، وعرض البراهين في تناوله للمسائل الأصولية ، وكثيرا ما نجده يلجأ الى طريقة السؤال والجواب في تجلية غموض المسئلة ، أو تفنيد ما قد يرد عليها من اعتراض • بل قد نراه في بعض الأحيان يتخيل الاعتراض واردا على ما قرره ، ويبدأ هذا بقوله : « خيال وتنبيه » ، ثم يتولى الاجابة عن هذا الخيال •

وعلى هـذا المنهج ، سار في بحثه لمسائل نقلت عن أبى الدبوسي ، فأفاض فيها ، وقررها على وجه أزال عنها الغموض والتشويش الذي أضافه النقلة عنه اليها .

وكان في كل ما يقرره حاذقا فطنا فصيحا بصيرا بطرائق المناظـرة والجدال ، بل انه يتعمد — في أثناء مناقشاته لتلك المسائل — ابراز المنهج السليم في المناظرة والمحاجة ، ويبين ما على المعلل أو المجتهد وما له . ثم ما للمعترض بعد ذلك من مرتبة أو منزلة ، ويؤكد أن الغرض من المناظرة أو الجدال هو الوصول الى الحق لا غير ؛ ويدعو الى قبول الحق اذا ظهر والاذعان له ، بصرف النظر عن مصدره وقائله ، وفي هذا يقول : « لا سبيل الى اجتناب الحق ترفعا من خسة الشركاء »[1] .

٢ — انا في كتاب الشفاء نجد أنفسنا أمام سيل متدفق من الأمثلـة والتطبيقات لمسائل التعليل والقياس ، لا نجدها في غيره من كتب الأصول التي بين أيدينا . وبهذا فان الكتاب يعطينا نموذجا عمليا يعرفنا السبيل الىالاستفادة من القواعد الأصولية ، واخراج تلك القواعد منالجمود النظري الى التطبيق العملي . ولقد عانينا الكثير من كتب الأصول التي تحيل قواعد هذا العلـم ومسائله الى طلاسم غير مفهومة ، أو هياكل لا روح فيها ولا ثمرة منهـا ، ولا يصل طالب المعرفة من ورائها الى ما يريد ويبتغى . لكن الامام الغزالي استطاع — بما أوتى — أن يجنب كتبه هذا الجمود والعقم .

٣ — ان الامام الغزالي بين أن التعليل انما هو : لتعدية الحكـم المنصوص عليه الى غير محل النص »[2] . وبهذا الاعتبار وضع كتابـه

---

(١) انظر الشفاء ص (٦٣٣) .

(٢) انظر الشفاء (١١٥) والمستصفى (٢/٣٣٥) .

« الشفاء » فدرس التعليل وبحث مسائله وقواعده ، مما يجعل الكتاب رسالة متخصصة في التعليل والقياس •

ومع هذا فان الكتاب لم يتناول البحث في حجية القياس وأدلة القول بالتعليل •

وهذا لم يكن عن غفلة أو تقصير ، وانما مبعثه الحرص والعناية بجانب دون جانب• فالامام الغزالي كتب « شفاء الغليل » في أمور تهم القائلين بالقياس والمتقبلين للتعليل ، وهؤلاء لا داعي لأن يذكر لهم أدلة الحجية والعمل بالقياس •

وفي هذا ، يقول ـ رحمه الله ـ : وما أخللته من كتاب القياس ، مما لم أتعرض له ، فهو منقسم الى ما رأيته جليا يستغنى بكتاب المنخول عنه ، والى ما لا تمس الحاجة اليه في المناظرات الا نادرا ، فقصرت همى على الأغمض ، ثم اجتزيت منه بالأهم »[1] •

ويقول : « ان اعتناءنا في هذا الكتاب بما تمس اليه حاجة القائسين المتناظرين • وقبول أصل القياس فيما بينهم كالمفروغ منه »[2] •

٤ ـ ملاحظة أخيرة ، حول نقول ذكرها الغزالي عن الامام مالك ، ولا تعرف الآن في كتب المالكية [المتداولة] وفق نقل الغزالي • من ذلك : مسئلة اباحة قتل ثلث الأمة لبقاء الثلثين ، على أساس المصلحة • ومن ذلك : اباحة تعذيب المتهم بسرقة أو نحوها حتى يقر ويعترف • ومن ذلك : الاقراع بين المشتركين في قتل الواحد ، ليقتل من بينهم من تخرج عليه القرعة • وقد حققت في مباحث التعليل أن الامام مالكا لا يقول بمثل هذا

---

(١) الشفاء (١٦) •

(٢) الشفاء (٢٠٧) وانظر في هذا المعنى أيضا (٣٥٣) •

الذي نقل عنه • غير أنه يمكن توجيه ما ورد في كتاب الشفاء ، بأن ما ذكر هو رأي لأحد المالكية ، وتسامح الغزالي بالتعبير فنسبه للامام مالك • أو أن الغزالي قد اطلع من كتب المالكية ـ التي تنسب القول بهذه الأحكام للامام مالك ـ على ما لم يصل الينا •

وعلى أي حال ، فان هذا لا يقلل من قيمة كتاب الشفاء ، فالكتاب ذو قيمة حقيقية ثابتة • وحسب صاحبه أنه كان من أولئك الأئمة الأوائل الذين فقهوا شريعتهم فروعا وأصولا، وتعمقوا فيأسرار قواعدها وضوابطها، ثم حاولوا أن يقدموا لمن بعدهم خلاصة ما وصلوا اليه ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا •

* * *

مخطوطات الكتاب

قمت بتحقيق هذا الكتاب عن أربع نسخ مخطوطة •

١ ــ صورة عن نسخة دار الكتب المصرية رقم (١٥٤) أصول • وقد رمزنا اليه بحرف :

(د)

والنسخة مكتوبة بخط نسخ واضح ، كتبها صالح بن وزير بن علي سنة خمسمائة وثلاث وسبعين هجرية • في ست وثمانين ورقة ، مقاس ١٦ × ٢٥ ، في كل صفحة ما بين خمس وثلاثين الى ثمان وثلاثين سطرا •
وعلى صفحة العنوان نص اسمها : « شفاء الغليل في بيان مسالك التعليل » •
وعليها عدة تملكات لبعض العلماء :

منهم : محمد بن اسحاق الحسيني المعروف بابن البناء ، بتاريخ ستمائة وسبع وستين للهجرة •

ومنهم : نجم الدين : محمد بن أحمد الغيطي الشافعي المتوفى سنة ٩٨٣هـ[1] وتأريخ تملكه لهذه النسخة : سنة تسعمائة وسبع وثلاثين للهجرة •

ومنهم : السيد محمد المرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ • ثم عبارة منه تثبت أنه أعاد النسخة بعد تملكه اياها الى مقرها • ونص هذه العبارة : « افتداه وأبقاه على وقفه » • والتوقيع على ذلك باسمه : « محمد مرتضى الحسيني غفر له بمنه » •

وقد كان أصل هذه النسخة قبل ورودها لدار الكتب ، في جامع محرم أفندي الشهير بالكردي وهو الذي كان يعرف فيما مضى بالمدرسة المحمودية التي أنشأها الأستادار محمود ،بشارع قصبة رضوان بالقاهرة •

* * * *

٢ ـ صورة عن ميكروفيلم في معهد المخطوطات بالجامعة العربية عن النسخة الأصلية المحفوظة في مكتبة الأزهر • رقم (١٠٧) أصول فقه • وقد رمزنا اليها ، بحرف :

(ز)

وعنوانها : « شفاء الغليل ، في بيان مسالك التعليل » • وهي مكتوبة بقلم معتاد ، واضح عليه الصحة ، وبدون تأريخ • ويبدو من مظاهر خطها أنها كتبت في القرن السادس ، أو السابع ، في مائة وواحد وثمانين ورقة ، وفي كل صفحة واحد وعشرون سطرا • وصفحة العنوان مكتوبة بخط يخالف

---

(١) صاحب المصنفات العديدة ، منها : تفسيره المسمى بالسراج المنير ، المطبوع في أربع مجلدات • وقد ترجم له ابن العماد في الشذرات (٨/٤٠٦) وجعل وفاته سنة ٩٨٤ • وابن الغزي في الكواكب السائرة (٣/٥١ ـ ٥٣) •

خط النسخة • وعليها وقفية لها من الشيخ أحمد الدمنهوري على طلبة العلم بالأزهر في خزانته الكائنة بالمقصورة بالأزهر ، بدون تأريخ • والشيخ الدمنهوري هذا هو العلامة أحمد بن عبدالمنعم بن يوسف • الذي كان شيخا للأزهر وتوفى سنة ١١٩٢هـ[١] • وله كثير من المصنفات •

* * * *

٣ ـ نسخة مصورة عن نسخة مكتبة جستربتي في ايرلندا • رقم (٣٧٧٦) • ورمزنا اليها بحرف :

(ل)

تنقص من أولها مقدار خمسة عشر ورقة تقريبا • وقد كتبت بخط معتاد ، يبدو عليه الصحة • وبدون تأريخ ، ومن المرجح أن تكون قد كتبت في القرن السادس تقريبا في ١٤١ ورقة ، في كل صفحة تسعة عشر سطرا • وكانت هذه النسخة عند الأخ الدكتور رشاد سالم الأستاذ بجامعة عين شمس ، حصل عليها ضمن مجموعة لابن تيمية ، قام بتصويرها من مكتبة جستربتي • فتفضل باعطائها لي فله مني كل الشكر والتقدير •

* * * *

٤ ـ صورة عن ميكروفيلم في معهد المخطوطات بالجامعة العربية ، عن النسخة الأصلية المحفوظة بمكتبة الجمعية الأسيوية بكلكتا في الهند • رقم (٥٦١) • وقد رمزنا اليها بحرف :

(هـ)

عنوانها : « شفاء الغليل ، في بيان الشبه والمخيل ، ومسالك التعليل » •

---

(١) ترجم له علي مبارك في الخطط (١١ ٣٤ ـ ٣٥) والجبرتي في عجائب الآثار (٢/٢٥) •

وهي مكتوبة بقلم معتاد واضح ، ويبدو عليها الصحة والدقة ، بقلم محمد بن هبة الله بن سحكان السلماسي : سنة خمسمائة واحدى وخمسين للهجرة . وجاء بآخرها : « قوبل وصحح بقدر الامكان جميع هذا الكتاب بأصل صحيح عتيق مقابل بالأصول ، والله أعلم وأحكم . وذلك في شعبان سنة اثنين وخمسين وخمسمائة » . وعدد أوراقها مائة وثمان وسبعون ورقة . وفي كل صفحة ثمانية عشر سطرا . وقد كانت في الأصل مضطربة الأوراق عند التجليد . وبمقابلتها على النسخ الأخرى . قمت بترتيبها على الوضع الصحيح .

* * * *

منهجي في تحقيق الكتاب :

لقد أخذت نفسي في تحقيق « الشفاء » ، أن أبلغ الغاية من تحقيق النصوص أو أكاد . تلك الغاية التي هي اخراج الكتاب صحيحا ، كما وضعه مؤلفه . ولقد صرفت في سبيل ذلك غاية ما أملكه من طاقة وجهد ، يتضح بالاطلاع عليه والنظر فيه .

وقد راعيت في عملي الالتزام بأهم القواعد المتبعة في تحقيق النصوص، فسرت كما يلي :

١ ـ قمت بكتابة نسخة من الكتاب ، عن نسخة (د) . وعرضتها عليها وعلى النسخ الأخرى ، فأثبت كل فرق بين هذه النسخ ، لم أترك من هذه الفروق الا ما يرجع الى قواعد الاملاء وطريقته . فقد وجدت في بعض النسخ كلمة : « يرى ، سوى ، استثنى » مرسومة هكذا : « يرا ، سوا ، استثنا » . فكتبت هذه الكلمات وأمثالها وفق القواعد الاملائية المعروفة اليوم ؛ ولم أنبه على هذه الفروق ، لعدم جدوى التنبيه عليها . وكذلك وجدت بعض النسخ تذكر بعد ورود اسم امام أو صحابى : رضى الله عنه ،

أو رحمه الله • بينما من النسخ ما قد أغفل ذكر هذه الزيادة • فجريت على اثبات هذه الصيغ وعدم التنبيه ــ أيضا ــ على النسخة التي لم تذكرها •

ثم عدت أقرأ النص بتأمل وتفهم ؛ فاذا ما وصلت الى كلمة أو جملة اختلفت النسخ فيها ــ دققت النظر ، فتخيرت ما كان أصوب أو أنسب أو أحسن ، فوضعته في صلب الكتاب ، ووضعت ما يقابله في النسخ الأخرى في الحاشية • وبهذا فاني لم ألتزم لفظ نسخة بعينها •

٢ ــ صححت ألفاظا وردت في النص مخالفة لقواعد النحو والرسم : وذلك مثل كتابة العبارة التالية : « الى كلى الأمرين » فصححتها بـ « الى كلا الأمرين » •

٣ ــ أحلت المسائل الأصولية الواردة في الكتاب على أهم المصـــادر الأصولية التي تناولت هذه المسائل ، من الكتب المعروفة المتداولة الآن •

٤ ــ لما كان الكتاب قد أورد الكثير من مسائل الخلاف في الفروع ، فاني اعتنيت بهذه المسائل ، فذكرت آراء الفقهاء فيها ، ومواطن الاتفـــاق والافتراق بين الأئمة ، مع الاحالة الى بعض كتب الفقه المختلفة الخاصـــة والعامـــة •

٥ ــ ذكر الكتاب نصوصا للامام الشافعي ، وأبى زيد الدبوسي • فدللت على الصفحات التي ذكرت تلك النصوص من كتبهما •

٦ ــ خرجت شواهد الكتاب من آيات وأحاديث وأشعار •

٧ ــ ترجمت لجميع الأعلام التي وردت في الكتاب ترجمة مختصرة، مع الاحالة على بعض المصادر التي تناولت الترجمة •

٨ ــ عرفت بالكتب التي وردت أسماؤها في الكتاب • وذكرت أماكن وجودها •

٩ ـ شرحت بعض الألفاظ الغامضة في الكتاب شرحا لغويا •

ولم أتخذ في الكتاب رموزا تضيف اليه الغموض أو التعقيد • وكل ما أتخذته : هو أني جعلت ما ورد في نسخة دون نسخة ـ بين حاصرتين ، وأشرت في الحاشية الى مصدر هذه الزيادة • وقد أتضح لي أنه قد سقط من بعض النسخ في بعض الصفحات سطر أو سطران مما يكون بين كلمتين متماثلتين وكانت (ز) أكثر النسخ في ذلك • وقد يكون ما بين الحاصرتين مساويا لعبارة أخرى وردت في بعض النسخ ووضعت في الحاشية •

كما حرصت على الاشارة الى بدء صفحة نسخة (د) ونهايتها • فوضعت أرقاما تدل على ذلك • ورمزت للوحة الأيمن من الورقة برقمها مقرونا بالحرف (أ) وللوجه الأيسر برقمها مقرونا بالحرف (ب) •

وبعد : فهذا هو كتاب « شفاء الغليل » أقدمه ـ محققا ـ لكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر لينشر بعد مرور ما يقرب من تسعة قرون على تأليفه •

واني لأرجو أن أكون قد وفقت بعملي فيه أو قاربت • فان كان كذلك فبفضل الله وعنايته وتوفيقه • والا : فعذري أني بذلت غاية ما وسعني من جهد وطاقة •

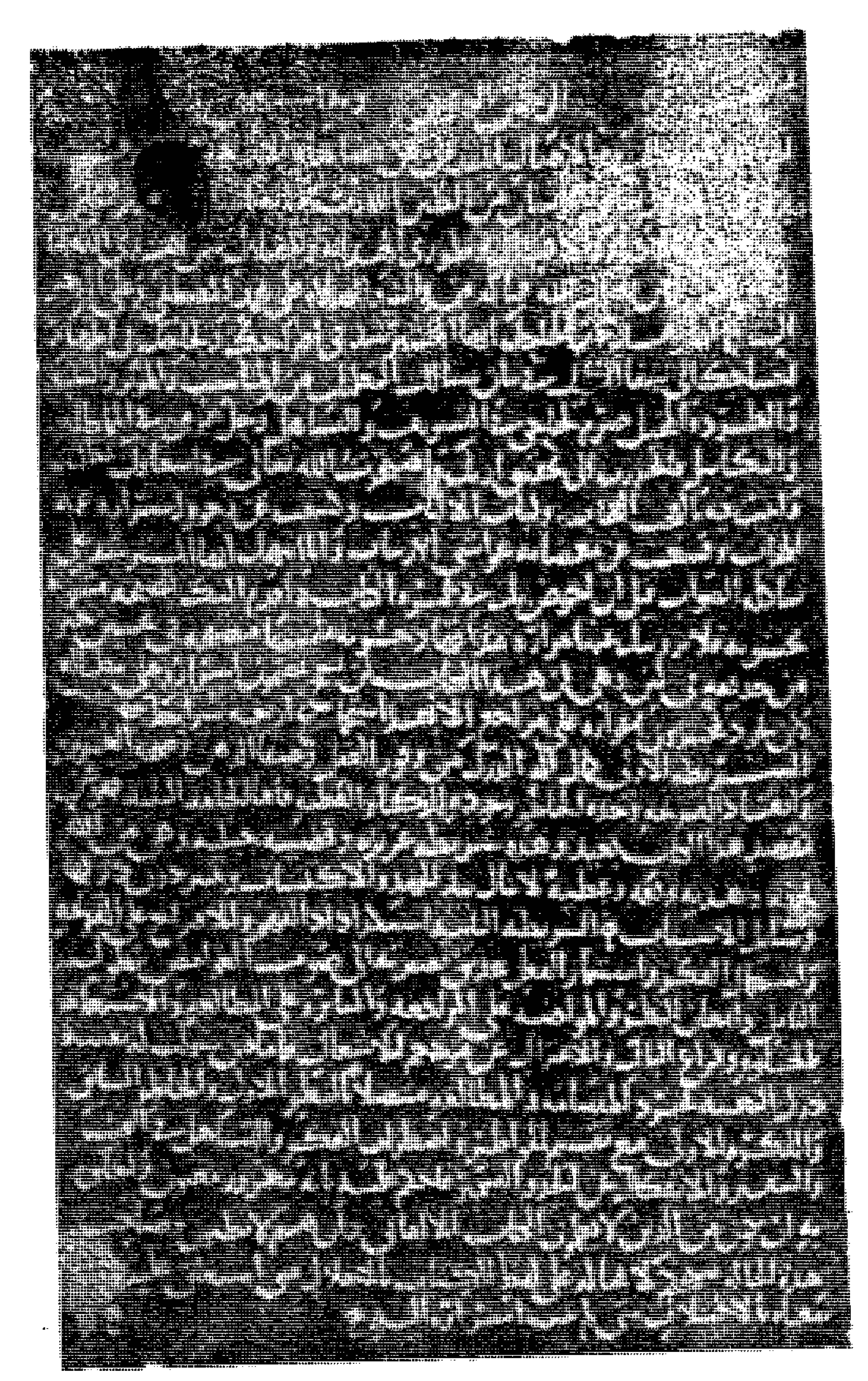
والله ـ سبحانه وتعالى ـ أسأل ، أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن ، وأن يجعله خالصا لوجهه • كما أسأله ـ جلت قدرته ـ مزيدا من العون والتوفيق في سبيل نشر تراثنا وكنوز أسلافنا ، انه نعم المولى ونعم النصير ، ومنه نستمد العون والتوفيق •

الدكتور حمد عبيد الكبيسي

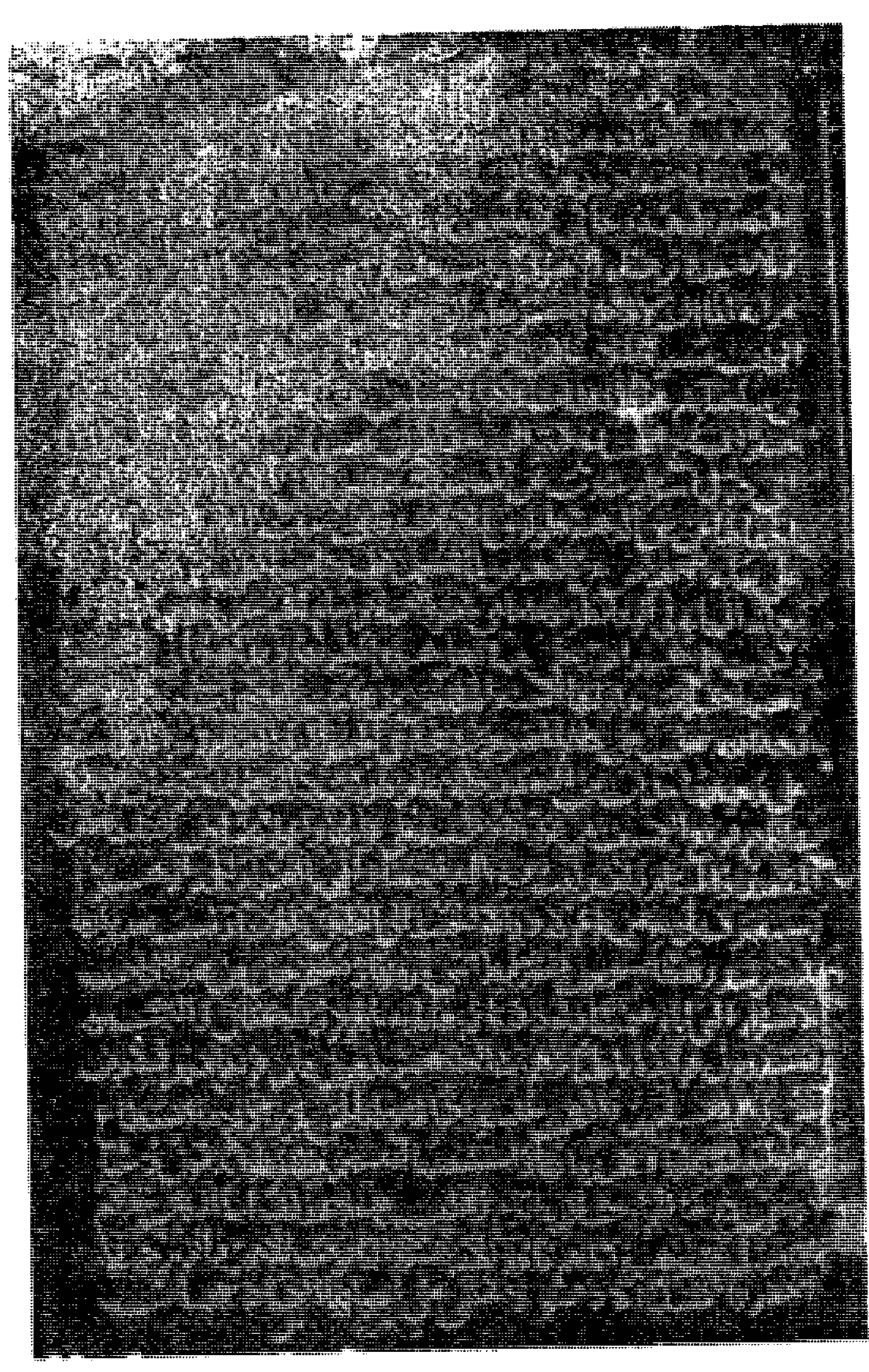
القاهرة ٢٩/١/١٣٨٩هـ
١٦ نيسان ١٩٦٩م



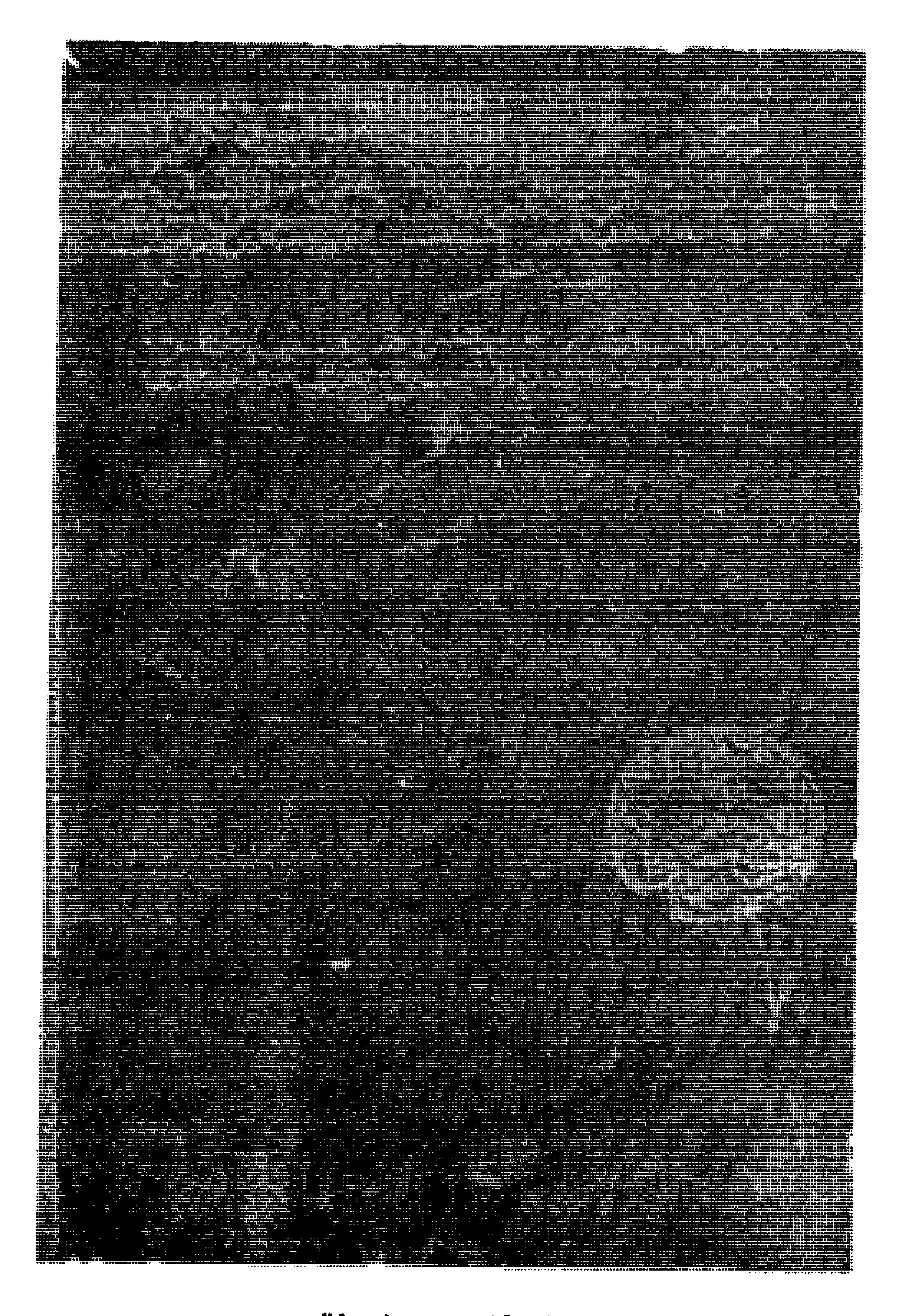
عنوانُ الكتاب في مخطوطة دار الكتب المرموز لها بالحرف [د]



الورقة الأولى من نسخة [د] ص (أ)



الورقة الأولى من نسخة [د] ص (ب)



الصفحة الأخيرة من نسخة [د]

عنوان الكتاب في مخطوطة الأزهر المرموز لها بالحرف [ز]

الورقة لأولى من نسخة [ز] ص (أ)

الورقة الأولى من نسخة [ز] ص (ب)

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين

وصلواته على محمد خاتم النبيين وعلى عترته الطيبين الطاهرين وسلم

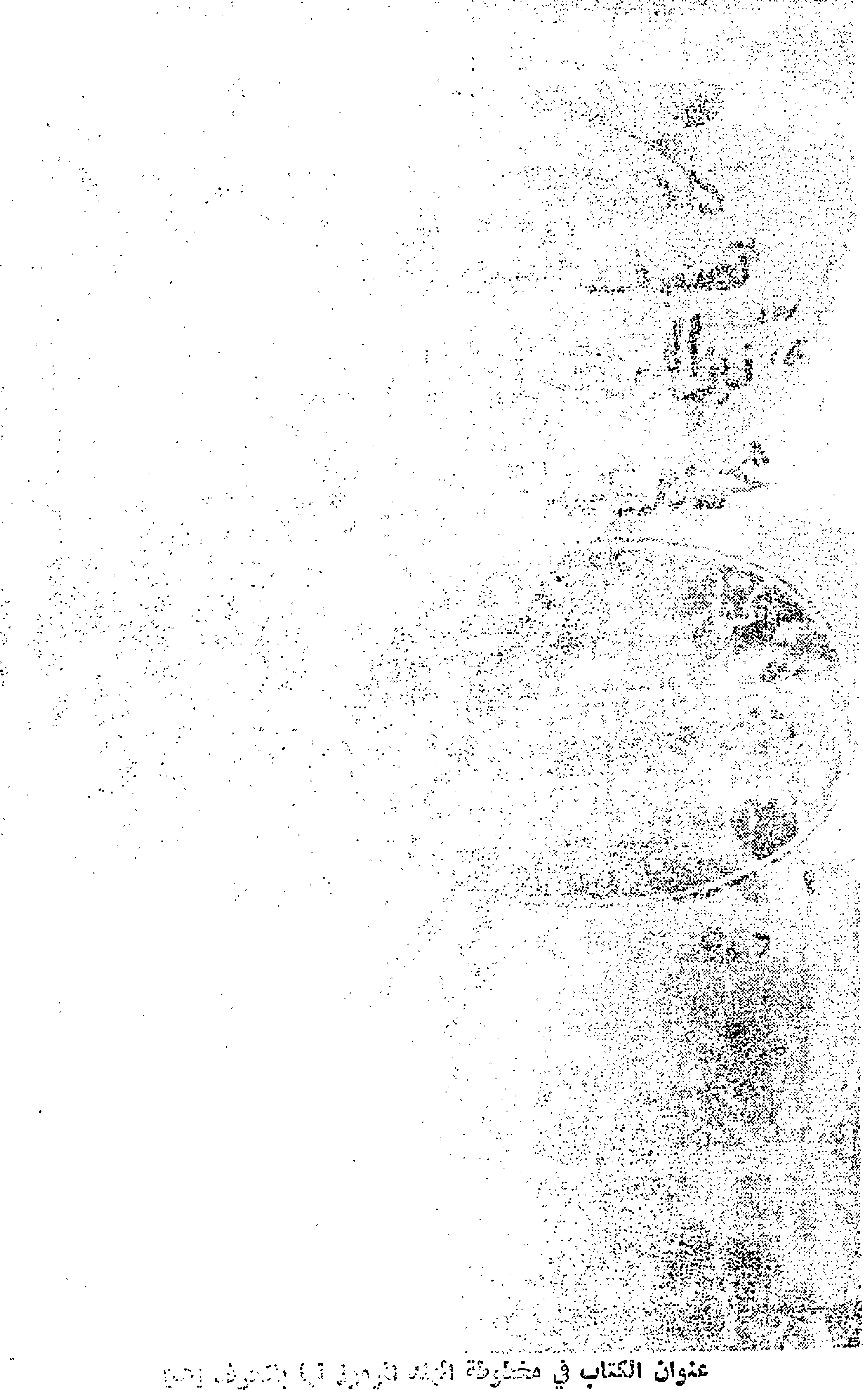
الصفحة الأخيرة من الكتاب في نسخة [ز]

[illegible]

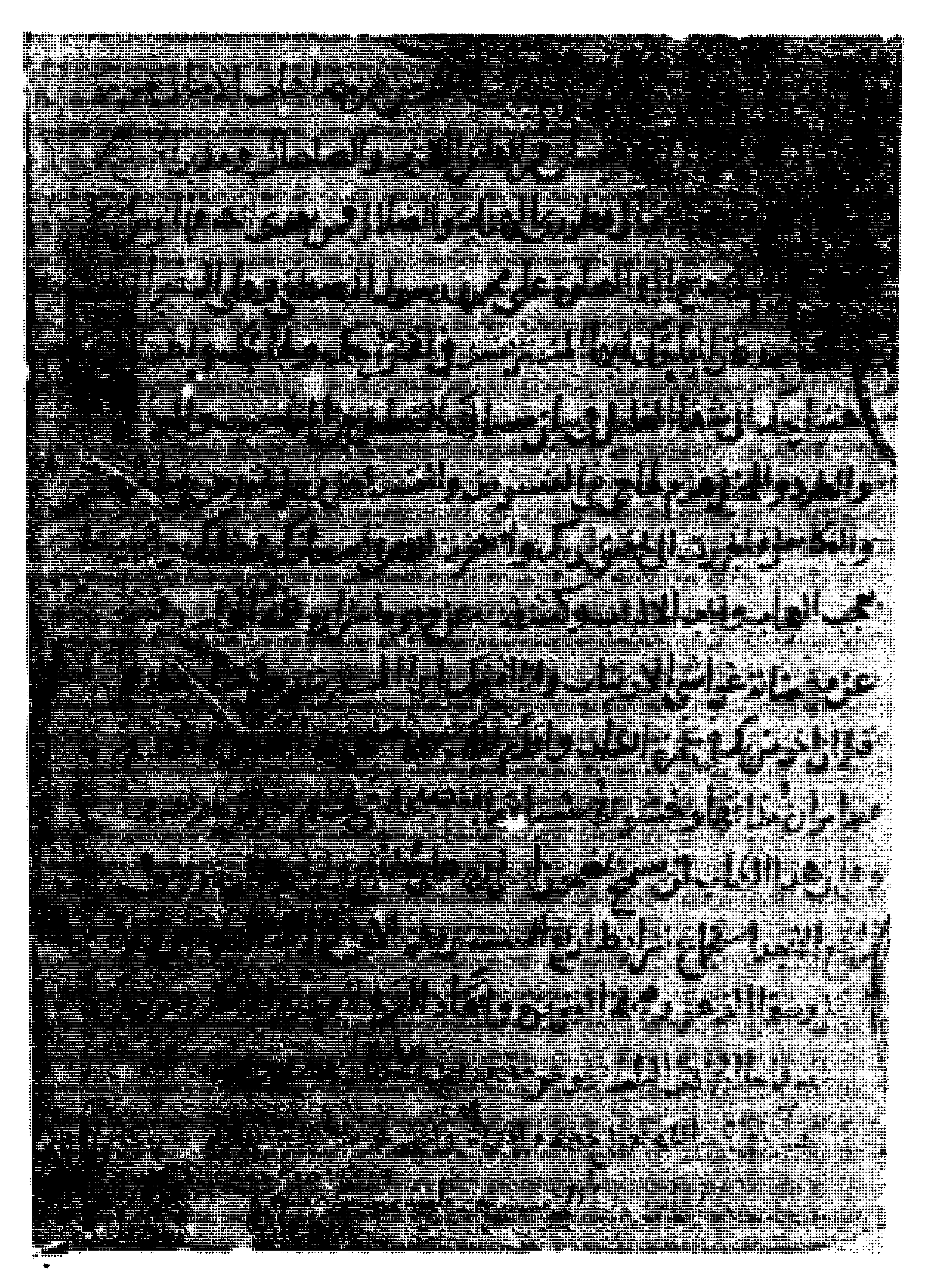
الصفحة الأولى من الكتاب في نسخة [ل]

في التعليل إنما هو في أي موضع له في الشرع ذلك الموضع وبالوقوف على علته
عند قول الفقيه وهما في الأمثلة الرباعية شهود ولا تعرض في الحال
للعدالة وهو يريد الشهود العدول. إذا لم يكن الصفات من مقصود كلامه
بل الغرض النص على العدد فيقتصر عليه ولا يتعلق بعمومه حتى ينسب إلى
مخالفة الشرع، ولكن يقال: إذا عرفت الشهادة مقيدة بالعدالة شرعاً في
مواضع فإطلاق الفقيه اسم الشهادة محمول على المقيد بذلك القيد، وكذلك
مطلق الرقبة في هذا الموضع محمول على المقيد بقيد الإيمان المعلوم وجوبه في
الشرع، وإذا أخل بهذا الركن فإنما يحتاج أن يقدم القياس عليه، وهذا هو الجواب
عن سائر الأمثلة، فأما إذا نص على [illegible] النطق عنه كان [illegible] ولم يعترض لنفيه
ولا إثباته بل ظاهر الكلام مشعر بالانفراد به، ويحتمل الإلغاء والاقتصار على
الأصل، فالأعنى بالتفصيل فلم يكن إثباته بالقياس تعرضاً للنص بنقض ما
هو نص فيه، بل هو تعرض لتخصيص ما هو عام، وهو شرائع هذا. فهذا ما أردنا
أن نذكره في الأركان الخمسة من القياس مقتصرين على المقصد الذي أعرب عنه
لقب الكتاب، وأما ما التزمنا من بيان العلل في بيان الشبه والمخيل ومسالك
التعليل بما عدا هذه الأركان كالبعيد عن هذا المقصد المطلوب من الكتاب
والله أعلم بالصواب
والحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله
محمد وآله أجمعين

الصفحة الأخيرة من الكتاب في نسخة [ل]



عنوان الكتاب في مخطوطة [illegible]



الورقة الأولى من نسخة [هـ] ص (أ)

الورقة الأولى من نسخة [هـ] ص (ب)

الصفحة الأخيرة من نسخة [هـ]